

## مقدمة

# دراسة نمو المراهقة The Study of Adolescent Development

- المدخل النظرية حول المراهقة.
- النظريات البيولوجية الاجتماعية.
- نظريات الكائن الحي.
- نظريات التعلم.
- النظريات الاجتماعية.
- المدخل التاريخية والأنثروبولوجية.
- القوالب النمطية مقابل الدراسة العلمية.
- حدود المراهقة.
- المراهقة المبكرة والمتوسطة والمتأخرة.
- إطار لدراسة نمو المراهقين.
- التغيرات الأساسية للمراهقة.
- سياقات المراهقة.
- التطور النفسي الاجتماعي في مرحلة المراهقة.



المحتمل أن يضر بالنمو الاجتماعي للمراهقين؟ وبالطبع، كيفية مساعدة المراهقين على حماية صحتهم النفسية خلال هذا الوقت العصيب.

ولحسن الحظ، يمكن لعلماء اليوم أن يفعلوا أكثر بكثير من مجرد التخمينات. على مدى العقود الثلاثة الماضية، كان هناك نمو هائل في علم المراهقة، لذلك عندما يسأل الخبراء هذه الأنواع من الأسئلة، فنحن لدينا كثير من البحوث للاستفادة منها؛ دراسات حول اتخاذ القرار لدى المراهقين، وحول تأثير وسائل التواصل الاجتماعي على التطور النفسي للمراهقين، وحول تكنولوجيا التعليم، وحول العوامل التي تجعل بعض الشباب أكثر عرضة للاكتئاب من غيرهم.

وكانت البحوث حول خوض المخاطر لدى المراهقين ذات صلة بشكل خاص بالمناقشات حول ما إذا كان من الآمن إعادة فتح الحرم الجامعي. أنا شخصياً كنت متشامماً بشأن العديد من الخطط التي اقترحتها الكليات والجامعات. وفي مقال رأي نشرته في صحيفة نيويورك تايمز، كتبت أن الطلبة قد يكونون قادرين على الامتثال لإرشادات التباعد الاجتماعي لفترة، ولكن ليس لأكثر من أسبوعين أو نحو ذلك، وأنه مجرد أن يبدووا في التواصل الاجتماعي مع بعضهم بعضاً، سينتشر الفيروس بسرعة. (Steinberg, 2020)

واتضح أن تقديري الخاص بمدة الأسبوعين كان متفائلاً بشكل مفرط. فبمجرد إعادة فتح الكليات، بدأ الطلبة في الحفلات على الفور. وفي غضون أسبوع واحد من إعادة الافتتاح، بدأت الجامعات في جميع أنحاء البلاد في عكس مسارها، بإغلاق مساكن الطلبة، وإرسال الطلبة إلى المنزل، واستئناف التدريس عبر الإنترنت، وتعطيل خطط آلاف الطلبة. وبحلول أواخر أغسطس، قبل عودة



في الأشهر الأولى من جائحة كوفيد-19، تجاهل العديد من الطلبة الجامعيين خبراء الصحة العامة الذين حذروا من التجمعات الجماعية الكبيرة. Mike Stocker/ Sun Sentinel/Tribune News Service/Getty Images

خلال الأشهر الأولى من عام 2020، أدى الانتشار السريع والمخيف للفيروس المسبب لكوفيد-19 إلى واحدة من أخطر أزمات الصحة العامة والاقتصادية التي شهدها العالم على الإطلاق. وكان أحد أصعب التحديات التي تواجهها البلدان ذات معدل الإصابة -مثل الولايات المتحدة- هو كيفية توفير التعليم بأمان للملايين من طلبة المدارس الابتدائية والثانوية والكليات. وكان هناك قلق لدى الخبراء من انتشار الفيروس ليس فقط بين الطلبة ولكن أيضاً بين الطلبة وغيرهم ممن يتعاملون معهم -المعلمين وأولياء الأمور وغيرهم من البالغين في المجتمع. وبصفتي خبيراً في نمو المراهقين، كثيراً ما كان يتم سؤالني عن التأثير المحتمل للوباء على المراهقين. كان هناك كثيراً من القضايا التي يجب التفكير فيها: ما إذا كان من الآمن العودة إلى المدرسة؟ وما إذا كان بإمكان الطلبة التعلم بنفس الفعالية من خلال التعليم عن بعد كما هو الحال في الفصول الشخصية؟ وما إذا كان الطلبة الجامعيون الذين عادوا إلى الحرم الجامعي قادرين على الالتزام بإرشادات مدارسهم للسلوك الآمن؟ وما إذا كان الاستخدام المتزايد لوسائل التواصل الاجتماعي من

عدد كبير جدا من الطلبة إلى الحرم الجامعي، كان هناك عشرات الدراسات أن خوض المخاطرة يكون أكثر شيوعا بالفعل أكثر من 25000 حالة مؤكدة من كوفيد 19- خلال أواخر سن المراهقة وأوائل العقد الثاني من العمر، في الجامعات في جميع أنحاء الولايات المتحدة. وبحلول أواخر أكتوبر، كان هناك ما يقرب من 220.000 (New York Times, 2020). لو كان مديرو الجامعة قد لجؤوا إلى علم المراهقة للحصول على الإرشادات، لربما قرروا القيام بالأشياء بشكل مختلف.

وأي شخص على دراية بالدراسات حول المخاطرة لدى المراهقين لم يكن قد فوجئ بهذا. لقد أظهرت

### حدود المراهقة The Boundaries of Adolescence

كلمة المراهقة مشتقة من اللاتينية *Adolescere*، والتي تعني: «التطور إلى مرحلة البلوغ» (Lerner & Steinberg, 2009). وفي جميع المجتمعات، المراهقة هي وقت للنضج، والانتقال من عدم نضج الطفولة إلى نضج مرحلة البلوغ، والاستعداد للمستقبل (Schlegel, Larson, Wilson, & Rickman, 2009; Schlegel, 2009). والمراهقة هي فترة من التحولات: البيولوجية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية. خلال فترة المراهقة، يصبح الأفراد مهتمين بالجنس وقادرين بيولوجيا على إنجاب الأطفال. هم يصبحون أكثر حكمة، وأكثر تطورا، وأكثر قدرة على اتخاذ قراراتهم بأنفسهم. وهم يكونون أكثر وعيا بالذات، وأكثر استقلالية، وأكثر قلقا بشأن ما يخبئه المستقبل. فكر للحظة في مقدار التغير الذي مرتت به بين الانتهاء من المدرسة الابتدائية وحتى تخرجك من المدرسة الثانوية. أنا متأكد من أنك ستوافق على أن التغيرات التي مرتت بها كانت رائعة.

#### المراهقة:

هي مرحلة النمو التي تبدأ بالبلوغ الجنسي وتنتهي عندما ينتقل الأفراد إلى أدوار الراشدين، بشكل تقريبي، من سن 10 سنوات حتى أوائل العشرينات.

وكما ترون في الجدول 1.1، هناك مجموعة متنوعة من الحدود التي قد نرسمها بين الطفولة والمراهقة، وبين المراهقة والبلوغ. عالم الأحياء سيضع قدرا كبيرا من التركيز على الوصول إلى وإكمال عملية البلوغ البيولوجي، لكن المحامي سينظر بدلا من ذلك في فترات السماح العمرية المهمة التي يحددها القانون، والمعلم قد يوجه الانتباه إلى الاختلافات بين الطلبة المسجلين في الصفوف المختلفة بالمدرسة. هل طالب الصف الخامس الناضج بيولوجيا مراهق أم طفل؟ هل الطالب الجامعي الأمريكي الذي يبلغ من العمر 20 عاما الذي يعيش في منزل والديه مراهق أم بالغ؟ لا توجد إجابات صحيحة أو خاطئة عن هذه الأسئلة. إن تحديد بداية ونهاية المراهقة هو مسألة رأي أكثر من كونه حقيقة مطلقة.

الجدول 1.1 حدود المراهقة. وفيما يلي بعض الأمثلة على الطرائق التي تم بها تمييز المراهقة عن الطفولة والبلوغ التي تناوها في هذا الكتاب. ما الحدود الأكثر منطقية بالنسبة لك؟

المنظور	متى تبدأ المراهقة؟	متى تنتهي المراهقة؟
البيولوجي	بدء البلوغ الجنسي.	أن يصبح قادرا على التناسل.
الانفعالي	بدء فك التعلق بالوالدين.	الحصول على إحساس منفصل بالهوية.
المعرفي	نشأة قدرات تفكير أكثر تقدما.	ترسخ قدرات التفكير المتقدمة.
بين الأشخاص	بدء التحول في الاهتمام من الوالدين إلى علاقات الرفاق.	نمو قدرة الحميمة الناضجة مع الرفاق.
الاجتماعي	بدء التدريب على عمل الراشدين، وأدوار الأسرة والمواطنة.	الحصول الكامل على وضع وامتيازات الراشدين.
التعليمي	دخول المدرسة الإعدادية.	إكمال التعليم الرسمي.
القانوني	الحصول على حالة الأحداث.	الحصول على حالة الأغلبية.
الزمني	الوصول إلى سن المراهقة المخصص (مثلا 10 سنوات).	الوصول إلى سن الرشد المخصص (مثلا 21).
الثقافي	دخول فترة من التدريب على طقس المرور.	إكمال احتفال المرور.



#### إقامة الوصلة العلمية making the practical connection

كشفت الدراسات التي أجريت على نمو دماغ المراهقين أن الدماغ يستمر في النضج حتى جزء كبير من منتصف العقد الثاني من العمر. وقد تم استخدام هذه الدراسات في العديد من قضايا المحكمة العليا الأمريكية التي قضت فيها المحكمة بأنه لا ينبغي معاقبة المراهقين بنفس القوة المستخدمة مع البالغين، حتى عندما تتم إدانتهم بنفس الجرائم. لكن بعض المدافعين عن الشباب قلقون من أن هذه الدراسات نفسها يمكن استخدامها لتقييد ما يسمح للمراهقين بالقيام به، مثل القيادة أو القرارات القانونية. كيف سترد على شخص- على أساس هذه الدراسات- يقول إنه إذا كان المراهقون أصغر من أن يعاقبوا مثل البالغين، فهم أصغر من أن يعاملوا مثل البالغين بطرائق أخرى أيضا؟

ونحن يمكننا التفكير في التطور الذي يحدث خلال فترة المراهقة على أنه يتضمن سلسلة من الانتقالات من عدم النضج إلى النضج (Howard & Galambos, 2011; Trejos-Castillo & Vazsonyi, 2011). بعض هذه المقاطع تكون طويلة وبعضها قصير؛ بعضها ناعم وبعضها الآخر خشن. وليست جميعها تحدث في نفس

الوقت. وفي ضوء ذلك، فمن الممكن تماما - بل من المحتمل غالبا - أن ينضج الفرد في بعض النواحي قبل أن ينضج في جوانب أخرى. والمظاهر المختلفة للمراهقة لها بدايات مختلفة ونهايات مختلفة لدى كل فرد. حيث إن أي فرد يمكن أن يكون طفلا في بعض النواحي، ومراهقًا في نواح أخرى، وبالغًا في نواح معينة.

ومن أجل الأغراض المقصودة في هذا الكتاب، سنقوم بتعريف المراهقة على أنها تبدأ بالبلوغ البيولوجي *puberty* وتنتهي عندما ينتقل الأفراد إلى أدوار الراشدين، تقريبا من سن 10 حتى أوائل العشرينات. وعلى الرغم من أن كلمة «المراهقة» في وقت ما قد تكون مرادفة لسنوات المراهقة (من سن 13 إلى 19)، فقد طالت فترة المراهقة بشكل كبير في السنوات الـ 100 الماضية؛ لأن النضج الجسدي يحدث في وقت مبكر ولأن كثيرا من الأفراد يؤخرون الدخول في العمل والزواج حتى منتصف العشرينات (Steinberg, 2014a).

### المراهقة المبكرة والمتوسطة والمتأخرة *Early, Middle, and Late Adolescence*

اليوم، ينظر معظم علماء وممارسي علم الاجتماع إلى المراهقة على أنها تتألف من سلسلة من المراحل

بدلا من كونها مرحلة واحدة (سميلة أرو، 2011). فالصبي البالغ من العمر 11 عاما الذي ينفق وقته وطاقته في الهيب هوب والتيك توك وكرة السلة -على سبيل المثال- لا يملك كثيرا من القواسم المشتركة مع الشاب البالغ من العمر 21 عاما الذي يدخل في قصة حب جادة، ويقلق من الضغوط في العمل، ويبحث عن شقة بأسعار معقولة. يفرق علماء الاجتماع الذين يدرسون المراهقة بين المراهقة المبكرة (نحو 10 إلى 13 عاما)، والمراهقة المتوسطة (نحو 14 إلى 17 عاما)، والمراهقة المتأخرة (نحو 18 إلى 21 عاما).

واقترح بعض الكتاب أيضا أن مرحلة جديدة من الحياة، تسمى مرحلة الرشد الناشئة *emerging adulthood* (Arnett, 2004)، تميز أوائل ومنتصف العشرينات من العمر. ومع ذلك، على الرغم من شعبية هذه الفكرة في وسائل الإعلام، هناك القليل من الأدلة على أن «مرحلة الرشد الناشئة» هي مرحلة عالمية أو أن غالبية الشباب في منتصف 20 هم في نوع من النسيان النفسي أو الاجتماعي (Cote & Bynner, 2008; Kloep & Hendry, 2014). في الواقع، أكثر ما يلفت الانتباه حول الانتقال من مرحلة المراهقة إلى مرحلة الرشد اليوم هو عدد المسارات المختلفة الموجودة. بعض الأفراد يقضون العشرينات عازبين، معتمدين على والديهم، وينتقلون من وظيفة إلى أخرى، بينما يترك آخرون المراهقة ويذهبون مباشرة إلى الزواج، والعمل بدوام كامل، والاستقلال الاقتصادي (Osgood et al., 2005).

#### المراهقة المبكرة:

هي الفترة التي تمتد تقريبًا من سن 10 إلى 13 عامًا، وتتوافق تقريبًا مع سنوات الدراسة الإعدادية أو المتوسطة.

#### المراهقة المتوسطة:

هي الفترة التي تمتد تقريبًا من سن 14 إلى 17 عامًا، وهي المقابلة لسنوات الدراسة الثانوية.

#### المراهقة المتأخرة:

هي الفترة التي تمتد تقريبًا من سن 18 إلى 21 عامًا، أي ما يعادل تقريبًا سنوات الدراسة الجامعية.

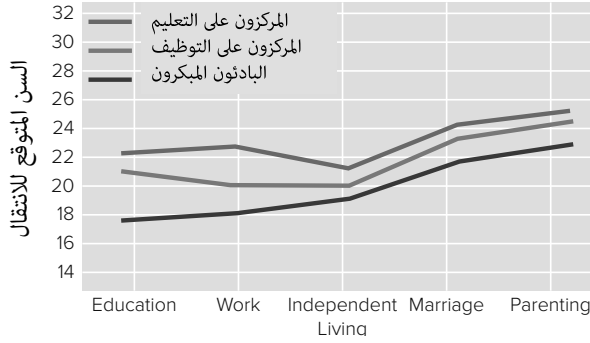
#### مرحلة الرشد الناشئة:

هي الفترة التي تمتد من سن 18 إلى 25 عامًا تقريبًا، والتي ينتقل خلالها الأفراد من مرحلة المراهقة إلى مرحلة البلوغ.

#### البلوغ الجنسي:

التغيرات البيولوجية التي تحدث في مرحلة المراهقة.

وجدت إحدى الدراسات التي أجريت على الشباب الأمريكي الريفي - والتي سئل فيها صغار طلبة المدارس الثانوية عن توقعاتهم للمستقبل - ثلاث مجموعات متميزة: «البادئين المبكرين» و«المركزين على التوظيف» و«المركزين على التعليم». «البادئون المبكرون» توقعوا إنهاء دراستهم، ودخول القوى العاملة،



الشكل 1.1 في إحدى الدراسات حول توقعات المستقبل بين طلبة المدارس الثانوية الريفية، تم العثور على ثلاث مجموعات: «البادئين المبكرين»، و«المركزين على التوظيف»، و«المركزين على التعليم». (Beal, Crockett, & Peugh, 2016)

والعيش بمفردهم مباشرة بعد المدرسة الثانوية؛ حيث اعتقدوا أنهم سيبدؤون أسرة خاصة بهم قبل بلوغهم سن 22 عاما. مجموعة «المركزين على التوظيف» توقعوا أن ينهوا المدرسة، ويبدأوا العمل المنتظم، وأن يعيشوا بمفردهم قبل أن يبلغوا 21 لكنهم لم يتوقعوا تكوين أسرة إلا بعد عدة سنوات. ولم تتوقع مجموعة «المركزين على التعليم» إنهاء تعليمهم حتى بلوغهم سن 22 ولم يتوقعوا تكوين أسرة حتى سن 24 أو 25 (انظر الشكل 1.1). من الواضح أن هناك مسارات متعددة من مرحلة المراهقة إلى مرحلة الرشد.

## إطار لدراسة نمو المراهقين A Framework for Studying Adolescent Development

يستخدم هذا الكتاب إطارا لدراسة المراهقة يعتمد على نموذج اقترحه في الأصل جون هيل (John Hill 1983). يتكون النموذج من ثلاثة مكونات أساسية: (1) التغيرات الأساسية للمراهقة، (2) سياقات المراهقة، و(3) التطورات النفسية والاجتماعية للمراهقة.

### التغيرات الأساسية للمراهقة The Fundamental Changes of Adolescence

ما الشيء الواحد - إذا كان هناك - المميز بخصوص المراهقة كفترة في النمو؟ هذا هو المكون الأول لإطار هيل، وهو التغيرات الأساسية للمراهقة، والتي تشمل الأبعاد البيولوجية والمعرفية والاجتماعية. وفقا لهيل، فإن ثلاث سمات لنمو المراهقين تعطي هذه الفترة مذاقها وأهميتها الخاصة: (1) بداية سن البلوغ (بيولوجي)، (2) ظهور قدرات تفكير أكثر تقدما (معرفي)، و(3) الانتقال إلى أدوار جديدة في المجتمع (اجتماعي). والأهم من ذلك، أن هذه المجموعات الثلاثة من التغيرات عالمية؛ عمليا دون استثناء، يمر بها جميع المراهقين في كل المجتمعات.

**التحولات البيولوجية Biological Transitions:** تتضمن العناصر الرئيسة للتغيرات البيولوجية للمراهقة والتي يشار إليها مجتمعة باسم البلوغ الجنسي *puberty*- تغيرات في المظهر الجسدي للشخص (بما في ذلك نمو الثدي عند الفتيات، ونمو شعر الوجه عند الأولاد، وزيادة الطول لكلا الجنسين) ونشوء القدرة على التناسل (Worthman, Dockray, & Marceau, 2019). وسنلقي نظرة على التغيرات البيولوجية التي تحدث في مرحلة المراهقة المبكرة ونفحص كيف يؤثر البلوغ على النمو النفسي للمراهقين وعلى علاقاتهم الاجتماعية.

**التحولات المعرفية Cognitive Transitions:** تشير كلمة معرفي *cognitive* إلى العمليات التي تكمن وراء كيفية تفكير الناس. والتغيرات في القدرات المعرفية تشكل المكون الثاني من التغيرات الأساسية الثلاثة لفترة المراهقة. بالمقارنة مع الأطفال، يكون المراهقون أكثر قدرة على التفكير في المواقف الافتراضية (أي الأشياء التي لم تحدث بعد ولكنها قد تحدث، أو أشياء ربما لن تحدث ولكنها ممكنة الحدوث) وحول المفاهيم المجردة، مثل: الصداقة أو الديمقراطية أو الأخلاق (Keating, 2011). وكما ستقرأ في هذا الكتاب، بدأت البحوث الرائدة حول تطور الدماغ في إلقاء الضوء على الطرائق التي تؤدي بها هذه التغيرات وغيرها في التفكير خلال فترة المراهقة إلى نضوج مناطق وأنظمة الدماغ المختلفة (Spear & Silveri, 2016).



#### إقامة الوصلة الثقافية making the cultural connection

في المجتمع الصناعي المعاصر، ليس لدينا احتفالات رسمية تحدد متى يصبح الشخص «راشداً». هل لدينا طرائق أقل رسمية لتبنيه الأولاد عندما يكونون قد قاموا بعملية الانتقال؟ ماذا كانت أهم الأحداث في حياتك التي أشارت إلى دخولك إلى مرحلة الرشد؟

**التحولات الاجتماعية Social Transitions:** تقوم جميع المجتمعات بالتمييز بين الأفراد الذين ينظر إليهم على أنهم أطفال وأولئك الذين ينظر إليهم على أنهم مستعدون ليصبحوا بالغين. المجتمع الأمريكي -على سبيل المثال- يميز بين الأشخاص «تحت السن *underage*» أو القصر والأشخاص الذين بلغوا سن الرشد. وليس قبل سن المراهقة حتى يسمح للأفراد بالقيادة والزواج والتصويت. تشكل هذه التغيرات في الحقوق والامتيازات والمسؤوليات المجموعة الثالثة من التغيرات الأساسية التي تحدث في مرحلة المراهقة: التغيرات الاجتماعية. في بعض الثقافات، تتميز التغيرات الاجتماعية للمراهقة بحفل رسمي -طقس العبور. وفي معظم المجتمعات الصناعية المعاصرة، يكون الانتقال أقل وضوحًا، لكن التغير في الوضع الاجتماعي هو سمة عالمية للمراهقة (Markstrom, 2011).

### سياقات المراهقة The Contexts of Adolescence

على الرغم من أن جميع المراهقين يمرون بالتحولات البيولوجية والمعرفية والاجتماعية لهذه الفترة، فإن آثار هذه التغيرات ليست موحدة بين جميع الشباب. البلوغ يجعل بعض المراهقين يشعرون بأنهم جذابون وتعطيهم الثقة بالنفس، لكنه يجعل آخرين يشعرون بأنهم قبيحون ويصيرون أكثر حساسية بذاتهم. والقدرة على التفكير بطريقة افتراضية تجعل بعض المراهقين شاكرين لأنهم نشؤوا مع والديهم، لكنها تدفع آخرين إلى الهروب من المنزل. والوصول إلى سن 18 يحفز بعض المراهقين للتقدم للتجنيد في الجيش أو التقدم بطلب للحصول على رخصة زواج، لكن بالنسبة لآخرين، أن تصبح راشدا هو شيء يرغبون في تأخيرها لأطول فترة ممكنة.

وإذا كانت التغيرات الأساسية للمراهقة عالمية، لماذا نجد آثارها شديدة الاختلاف؟ لماذا لا يتأثر الجميع بنفس الطرائق بالبلوغ، وبقدرات التفكير المتقدمة، وبالتغيرات في الوضع القانوني؟ الجواب هو أن التأثير النفسي للتغيرات البيولوجية والمعرفية والاجتماعية للمراهقة يتشكل من خلال البيئة التي تحدث فيها التغيرات. بمعنى آخر، التطور النفسي خلال فترة المراهقة هو منتج للتفاعل بين مجموعة من ثلاثة تغيرات أساسية وعالمية بجانب السياق الذي يتم فيه المرور بهذه التغيرات.

تأمل -على سبيل المثال- فتاتان تبلغان من العمر 14 عاما تنشآن في مجتمعين متجاورين. عندما مرت ماريانا بالبلوغ، نحو سن 13، كان رد فعل والديها الأول هو تقييد حياتها الاجتماعية. كانا يخشيان أن يزيد انشغالها مع الأولاد بقوة وأن تهمل واجباتها المدرسية. كان اعتقاد ماريانا أن والديها يتصرفان بسخف. نادرا ما كانت تتاح لها فرصة لمقابلة أي شخص لأن جميع الأولاد الأكبر سنا ذهبوا إلى المدرسة الثانوية في جميع أنحاء المدينة. وعلى الرغم من أنها كانت في الصف الثامن، إلا أنها كانت لا تزال تذهب إلى المدرسة مع طلبة الصف الخامس. استجابة ماريانا كانت الاغتراب عن والديها اللذين شعرت أنهما مفرطان في الحماية. كانت مراهقة كايلا مختلفة تماما. عندما كانت في فترة حيضها الأولى، لم يتصرف والداها بفرح تجاه بلوغها الجنسي. بدلا من ذلك، أخذوها جانبا وناقشا معها التطور الجنسي الطبيعي للفتيات. وشرحا كيف تسير الأمور وحددوا موعدا لكايلا مع طبيبة لأعراض النساء في حال احتاجت إلى مناقشة شيء ما مع الطبيبة. هذا الأمر جعلها تشعر بالارتياح مع التغيرات. وعلى الرغم من أنها كانت لا تزال فقط في سن 14، من المحتمل أن تبدأ كايلا التعارف قريبا في مجتمعها، والعيش بسلاسة



إن الآثار المترتبة على التغيرات المعرفية في مرحلة المراهقة واسعة النطاق.

Getty Images

#### طقوس المرور:

احتفال أو طقوس مناسبة انتقال الفرد من وضع اجتماعي إلى آخر، وخاصة مناسبة انتقال الصبي إلى مرحلة الرشد.



في المدارس الإعدادية والثانوية في مدرسة واحدة كبيرة، وكثيرا ما يحدث الدعم فيها بين الفتيات الكبيرات والفتيات الصغيرات. أدى بلوغ كايلا إلى اقترابها أكثر إلى والديها، وليس ابتعادها عنهما.

اثنتان من الفتيات في سن المراهقة. كلتاها تمران بمرحلة البلوغ، وتنمو كل منهما معرفيا، وتقرب كلتاها في العمر من مرحلة الرشد. ومع ذلك، تنمو كل منهما في ظروف مختلفة للغاية: في عائلات مختلفة، في مدارس مختلفة، مع مجموعات مختلفة من الأقران، وفي مجتمعات مختلفة. كلتاها مراهقتان، لكن خبراتهما في المراهقة مختلفة بشكل ملحوظ. ونتيجة لذلك، سيتبع التطور النفسي لكل فتاة مسارا مختلفا.

تخيل مدى اختلاف فترة المراهقة إذا كنت قد نشأت قبل قرن من الزمان، وبدلا من الذهاب إلى المدرسة الثانوية، كان المتوقع منك أن تعمل بدوام كامل من سن 15. تخيل مدى اختلاف أن تعيش بعد 100 سنة من اليوم. وتخيل مدى اختلاف فترة المراهقة بالنسبة لمراهق من عائلة فقيرة جدا عن تلك الخاصة بفتى من عائلة ثرية. من المستحيل التعميم فيما يتعلق بطبيعة المراهقة دون مراعاة البيئة المحيطة والظروف التي ينشأ فيها الشباب.

لهذا السبب، فإن المكون الثاني لإطارنا هو سياق المراهقة. وفقا للمنظور البيئي للنمو البشري، الذي كان مؤيده الرئيس يوري برونفنبرينر (1979) *Urie Bronfenbrenner*، لا يمكننا فهم النمو دون فحص البيئة التي يحدث فيها. في المجتمعات الحديثة، هناك أربعة سياقات رئيسة يقضي فيها الشباب الوقت: العائلات ومجموعات الأقران والمدارس وأماكن العمل والترفيه.

بالطبع، تقع هذه الأوضاع نفسها داخل أحياء سكنية، والتي تؤثر على كيفية تنظيمها وما يحدث فيها. سيكون من السذاجة -على سبيل المثال- مناقشة تأثير «المدرسة» على نمو المراهقين دون الاعتراف بأن المدرسة في ضاحية ثرية من المحتمل أن تكون مختلفة تماما عن المدرسة في وسط المدينة أو في منطقة ريفية نائية. والمجتمع الذي توجد فيه هذه الأوضاع هو نفسه مندمج في سياق أوسع يتشكل من خلال الثقافة والجغرافيا والاقتصاد والتاريخ.

في هذا الكتاب، سنكون مهتمين بشكل خاص بسياقات المراهقة في المجتمع الصناعي الغربي المعاصر والطرائق التي تؤثر بها على نمو الشباب. وتشمل السياقات الرئيسية ما يأتي:

**الأسر Families:** المراهقة هي وقت للتغيير الدراماتيكي في العلاقات الأسرية (Cox, Wang, & Gustafsson,

المنظور البيئي للنمو البشري:  
منظور للنمو يركز على السياق  
الأوسع الذي يحدث فيه النمو.

2011; Martin, Bascoe, & Davies, 2011). بالإضافة إلى ذلك، حدثت العديد من التغيرات في ما الذي يشكل «الأسرة» على مدى العقود العديدة الماضية، مما أدى إلى تنوع هائل في أشكال الأسرة وتكوين الأسرة في المجتمع الغربي المعاصر. ومن المهم أن نفهم كيف تؤثر التغيرات داخل الأسرة، وفي السياق الأوسع للحياة الأسرية، على النمو النفسي للمراهقين.

**مجموعات الأقران Peer Groups:** على مدار الـ 100 عام الماضية، أصبحت مجموعة الأقران تلعب دوراً متزايد الأهمية في التنشئة الاجتماعية الغربية وعلى نمو المراهقين (Dijkstra & Veenstra, 2011). ولكن هل كان لظهور مجموعات الأقران في المجتمع الغربي المعاصر تأثير إيجابي أو سلبي على نمو الشباب؟ هذا هو واحد من الأسئلة العديدة التي أثارت اهتمام الباحثين الذين يدرسون طبيعة ووظيفة مجموعات الأقران المراهقين وتأثيراتها على النمو النفسي للمراهقين في الغرب.

**المدارس Schools:** يعتمد المجتمع المعاصر على المدارس لشغل المراهقين وتطبيعهم اجتماعياً وتعليمهم. ولكن لأي مدى تجيد المدارس القيام بهذه الوظيفة؟ ما الذي يجب أن تفعله المدارس للمساعدة في إعداد المراهقين لمرحلة الرشد؟ وكيف ينبغي تنظيم المدارس الخاصة بالمراهقين (Cortina & Arel, 2011)؟



واحدة من أهم السياقات لنمو المراهقين هي مجموعة الأقران. SW Productions/Getty Images

**العمل وأنشطة وقت الفراغ ووسائل الإعلام Work, Leisure, and the Mass Media:** بعض أهم التأثيرات على نمو المراهقين تم العثور عليها خارج المنزل والمدرسة: في الوظائف بدوام جزئي (Neyt et al., 2017)، والأنشطة اللاصيفية (Farb & Matjasko, 2012)، ووسائل الإعلام (Brown & Bobkowsky, 2011a).

بما في ذلك وسائل التواصل الاجتماعي، التي أصبحت ذات أهمية متزايدة في حياة المراهقين (Twenge et al., 2018). إلى أي مدى تؤثر هذه القوى على اتجاهات المراهقين، ومعتقداتهم، وسلوكهم؟

### التطور النفسي الاجتماعي في مرحلة المراهقة Psychosocial Development in Adolescence

المكون الثالث والأخير من إطارنا يتعلق بالتطورات النفسية والاجتماعية الرئيسة لهوية المراهقة والاستقلالية والحميمية والجنس والإنجاز بالإضافة إلى بعض المشكلات النفسية والاجتماعية التي قد تنشأ في هذا العمر. ويستخدم علماء الاجتماع كلمة النفس الاجتماعية لوصف جوانب النمو ذات الطبيعة النفسية والاجتماعية. النشاط الجنسي -على سبيل المثال- هو قضية نفسية اجتماعية لأنها تنطوي على كل من التغيير النفسي (أي التغييرات في مشاعر الفرد ودوافعه وسلوكه) والتغيرات في علاقات الفرد.

وبالطبع، ليس فقط خلال سنوات المراهقة تكون هذه الأمور مهمة: الهوية والاستقلالية والألفة والجنس والإنجاز تتطور، ويمكن أن تحدث المشكلات النفسية أو الاجتماعية خلال جميع فترات الحياة. إنها تمثل التحديات النمائية الأساسية التي نواجهها مع نمونا وتغييرنا: (1) اكتشاف وفهم من نحن كأفراد- الهوية، (2) تكوين شعور صحي بالاستقلالية - الاستقلالية، (3) تكوين علاقات وثيقة ورعاية مع الآخرين- الحميمية،

(4) التعبير عن المشاعر الجنسية والاستمتاع بالاتصال الجسدي مع الآخرين - النشاط الجنسي، و(5) أن يكونوا أعضاء ناجحين وأكفاء في المجتمع-الإنجاز.

وعلى الرغم من أن هذه المخاوف ليست فريدة من نوعها في مرحلة المراهقة، إلا أن التطور في كل مجال من هذه المجالات يأخذ منعطفًا خاصًا خلال هذه المرحلة. فهم كيف وسبب حدوث مثل هذه التطورات النفسية والاجتماعية خلال فترة المراهقة هو اهتمام كبير للعلماء الذين يدرسون هذه الفترة العمرية.

ونحن نعلم أن الأفراد يقومون بتكوين علاقات وثيقة قبل المراهقة، ولكن لماذا تتطور العلاقات

الرومانسية أولاً خلال فترة المراهقة؟ نحن نعلم أن الأطفال الصغار يعانون مع تعلم كيفية الاستقلال، ولكن لماذا يحتاج الأفراد خلال فترة المراهقة إلى أن يكونوا أكثر استقلالاً وإلى اتخاذ بعض القرارات بعيداً عن والديهم؟ نحن نعلم أن الأطفال يتخيلون ما سيكونون عليه عندما يكبرون، ولكن لماذا لا تصبح هذه التخيلات اهتمامات جدية إلا بعد الوصول إلى سن المراهقة؟

**الهوية Identity:** في مرحلة المراهقة، تحدث مجموعة متنوعة من

التغيرات المهمة في مجال الهوية (Harter, 2011; Thomaes, Poorthuis, & Nelemans, 2011). قد يتساءل المراهق: «من أنا، وأي نوع من الحياة سيكون لدي؟» التوصل إلى تفاهم مع هذه الأسئلة قد ينطوي على فترة من التجريب - وقت تجريب شخصيات مختلفة في محاولة لاكتشاف الذات الحقيقية. وسعي المراهق نحو الهوية ليس فقط سعياً نحو الحصول على إحساس شخصي بالذات ولكن أيضاً للاعتراف من جانب الآخرين بأنه فرد مميز وفريد من نوعه. وتحدث بعض أهم التغيرات في مرحلة المراهقة في مجالات الهوية وتقدير الذات وتصورات الذات.

**الاستقلالية Autonomy:** نضال المراهقين لترسيخ أنفسهم كأفراد

مستقلين يتمتعون بالحكم الذاتي - في أعينهم وفي عيون الآخرين - هو صراع طويل وأحياناً يكون عملية صعبة، ليس فقط للشباب ولكن أيضاً لأولئك الذين من حولهم، وخاصة والديهم، & (Zimmer-Gembeck, Ducat, & Collins, 2011). وهناك ثلاثة جوانب من الاستقلالية لها أهمية خاصة خلال فترة المراهقة: أن تصبح أقل اعتماداً عاطفياً على الوالدين (McElhaney et al., 2009)، وتعلم العمل بشكل مستقل (Steinberg, 2014)، وإنشاء ميثاق شخصي للقيم والأخلاق (Morris, Eisenberg, & Houtberg, 2011).

**المنظور النفسي الاجتماعي:**

يشير إلى جوانب النمو ذات الطبيعة النفسية الاجتماعية، مثل تطور الشعور بالهوية أو النشاط الجنسي.

**الهوية:**

مجال للنمو النفسي والاجتماعي الذي يشمل مفهوم الذات، وتقدير الذات، وشعور الشخص بمن هو.

**الاستقلالية:**

المجال النفسي والاجتماعي المتعلق بالنمو والتعبير عن الاستقلال.

**العلاقة الحميمة:**

المجال النفسي والاجتماعي المتعلق بتكوين العلاقات الوثيقة وصيانتها وإنهائها.

**النشاط الجنسي:**

المجال النفسي والاجتماعي المتعلق بنمو المشاعر الجنسية والتعبير عنها.

**التحصيل/الإنجاز:**

المجال النفسي الاجتماعي المتعلق بالسلوكات والمشاعر في المواقف التقييمية.